لفظة مثاني في القرآن الكريم

- قراءة تأويلية -

الأستاذ الدكتور
عبد الكاظم محسن الياسري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

لفظة مثاني في القرآن الكريم قراءة تأويلية

الأستاذ الدكتور
عبد الكاظم محسن الياسري
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:

القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من خلفه ولا من بين يديه، وهو معجزة الرسول الاعظم ﷺ نزل بلسان عربي مبين وهو كتاب لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه كما قال الامام علي عليه السلام. نهل منه الدارسون في مختلف ميادين العلم والمعرفة ومازالوا وقد دعانا الله إلى تدبر هذا الكتاب العظيم والتفكير في معانيه ودلالة الفاظه وما فيها من ايماءات ظاهرة وباطنة. وهكذا انطلقت قوافل الدراسين لتسبر اغوار هذا البحر الذي لا مثيل له عبر قرون طويلة من الزمن وقد نهلوا منه ما شاءوا وكتبوا عنه ما ارادوا واتفقوا واختلفوا واجتمعوا وتفرقوا في تأويل ما ورد فيه من آيات وتراكيب ومفردات ولا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم من اهل بيت النبوة. لقد نزل هذا الكتاب وهو يحمل اعجازه في نظمه وتركيبه والفاظه. كل منها يحمل دلالة خاصة ولو حاول احدنا ان يستبدل لفظا من الفاظ القرآن بما يرادفه أو يقاربه لما استطاع ان يؤدي المعنى المراد وحدث خلل في معنى التركيب والسياق فلا زيادة ولا تضمين ولا تناوب في كتاب الله سبحانه وتعالى، ولا يصدق عليه ما يصدق على لغة البشر لأنه كلام الله اولاً ومعجزه رسوله ثانيا. وفي هذا البحث محاولة لقراءة لفظة (مثاني) التي وردت في موضعين في القرآن الكريم هما الآية (٨٧) من سورة الحجر والآية (٢٣) من سورة الزمر.

وعلى الرغم من ان هذه المفردة قيل فيها الكثير وكتب عنها المفسرون وتأولوها كل بحسب اجتهاده الا ان باب الاجتهاد والمفاضلة والترجيح بين الآراء

بقي مفتوحاً ولم يغلق، ومن هنا حاولت ان ادخل هذا المعترك لأقول شيئا في تأويل هذه المفردة ودلالتها مثلما قال الاخرون، واضم صوتي إلى ما اراه صوابا، وسوف يأتي بعدي من يدلي برأيه في هذه المفردة ويقول ما يريد.

وباب الاجتهاد والتأويل مفتوح امام الدارسين والفاظ القرآن لا تنتهي عجائبها ولا تنقضي غرائبها، واسأل الله ان تكون لي حسنة الاجتهاد مخطئاً أو مصيباً وهو ولي التوفيق في كل عمل. واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله الطاهرين.

لفظة مثاني في القرآن الكريم:

مدخل:ـ

وردت لفظة (مثاني) في القرآن الكريم في موضعين هما قوله تعالى:- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر/٨٧. وقوله تعالى:- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر/٢٣. ذهب المفسرون والدارسون مذاهب شتى في دلالة هذه المفردة في الآيتين سوف نذكر شيئا منها، والغريب انني لم اجد فيما اطلعت عليه من اراء المفسرين في هذه المفردة من يذكر انها بدلالة واحده في الآيتين ام تختلف دلالتها في الآية الاولى عنها في الآية الثانية بحسب معطيات السياق المقالي والحالي لاستعمالهما. وقد وجدت انهم ركزوا في بحثهم على لفظة مثاني في سورة الحجر، وتشبعت آراؤهم فيها في حين وقفوا عند المعنى اللغوي لهذه المفردة في سورة الزمر[1]. وفي هذا المدخل سوف اقف عند الدلالة اللغوية لهذه المفردة في ضوء ما ذكرته عنها معجمات اللغة. اشارت المعجمات إلى ان لفظة مثاني من الفعل (ثني) ولا نكاد نجد اختلافاً بين اصحاب المعجمات في دلالتها. جاء في كتاب. العين: الثني من كل شيء ما يثنى بعضه على بعض

اطباقاً كل واحد ثني حتى قيل اثناء الحية مطاويها اذا انطوت فإذا اردت اثناء الشيء بعضه على بعض قلت ثنيته ثنياً، وثنيت الشيء تثنية جعلته اثنين، وثنيت الرجل فانا ثانيه، والمثنى الثاني من اوتار العود، والثني من الرجال مقصور الذي بعد السيّد[٢].

وقال ابن فارس (٣٩٥هـ) الثاء والنون والياء اصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين، والمثناة طرف الزمام، المثاني هي الاطراف ويثنى الشيء من اطرافه فالمثاني اذن اطراف السور وهي فواتحها[٣].

وقال الجوهري: والثني واحد اثناء الشيء اي تضاعيفه والثني ايضا من النوق التي وضعت بطنين.. والثني مقصور.. الامر يعاد مرتين.. والثني من الوادي والجبل منعطفه، والمثاني من القرآن ما كان أقل من المئين، وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تثنى في كل ركعة[٤].

وفي لسان العرب. ثني الشيء ثنياً رد بعضه على بعض.. ومثانيه قواه وطاقاته. ومثاني الوادي ومحانيه معاطفة.. وثنيته ايضا صرفته عن حاجته وكذلك اذا صرت له ثانياً.. والمثاني من القرآن ما ثني مرة بعد مرة وقيل ما كان دون المئين جعلت مبادئ والتي تليها مثاني[٥].

الناظر فيما تقدم من دلالات هذه المفردة في اللغة يستطيع ان يلتقط منها بعض الاشارات التي قد تعينه في تحديد دلالة الاستعمال القرآني لهذه المفردة، ويبدو من خلال ما تقدم ان هذه الاشارات تتمثل في جانبين:

الأول: ما يقترب من دلالة هذه المفردة في السياق القرآني ومنها:

١- المثاني هي الاطراف ومثاني الشيء اطرافه ومثاني الآيات اطرافها والمثناة طرف الزمام.

٢- مثاني الشيء تثنيته وتكراره في كل مرة.

٣- مثاني تدل على توالي الشيء وتتابعه.

٤- ثني الشيء عطفه على غيره أو صرفه عما يريد.

الثاني: ما وردت فيه الاشارة صريحة لما ورد في القرآن ويتمثل بالآتي:

١- ما ورد في الصحاح. والمثاني من القرآن: ما كان اقل من المئين.

٢- وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تثنى في كل ركعة.

٣- وفي لسان العرب. والمثاني من القرآن ما ثني مرة يعد مرة وقيل ما كان دون المئين كأن المئين جعلت مبادئ والتي تليها مثاني.

ويمكن القول ان هذهِ الاشارات يمكن الاستعانة بها في التوصل إلى رؤيا تقودنا إلى الكشف عن دلالة الاستعمال القرآني لهذه المفردة من خلال السياق الذي استعملت فيه في الآيتين.

لفظة مثاني في القرآن الكريم:

حظيت لفظة (مثاني) باهتمام العلماء من مفسرين وعلماء اللغة وغيرهم وقد تشعبت فيها الاقوال وتعددت الآراء في دلالتها وقد بدا الكثير من اقوالهم مكروراً ومعاداً اذ يتابع اللاحق فيها السابق وقد اشرت في المدخل إلى ان جلّ المفسرين قد ركزوا اهتمامهم في بيان دلالة لفظة (مثاني) التي وردت في الآية (٨٧) من سورة الحجر ولم يعرضوا كثيرا لهذهِ اللفظة في الآية (٢٣) من سورة الزمر وسوف اعرض في ما يأتي امثلة مما ذكره المفسرون في بيان دلالة هذه المفردة في السياق الذي وردت فيه في السورتين لكي اصل من خلاله إلى ما اريد قوله في دلالتهما مستعيناً بما يقدمه المعنى اللغوي والسياق القرآني في بيان هذه الدلالة.

١ـ سورة الحجر:

سبقت الاشارة إلى ان علماء التفسير فيما اطلعت عليه لم يشيروا إلى اللفظتين في سورتي الحجر والزمر هل هما بدلالة واحده ام لكل منهما دلالة تختلف عن

الاخرى في سياق الاستعمال؟ وما اراه ان دلالة لفظة (مثاني) في سورة الحجر تختلف عن دلالتها في سورة الزمر مستنداً إلى السياق وطبيعة الاستعمال القرآني وسوف يتضح ذلك من خلال البحث. ذكر المفسرون اراء كثيره في دلالة لفظة (مثاني) التي وردت في قوله تعال ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وكثيراً ما تلتقي هذه الآراء مع بعضها لان بعضهم ينقل عن الاخر وفيما يأتي عرض لطائفة من هذه الآراء بإيجاز..

١- جاء في مجمع البيان: السبع المثاني هي فاتحة الكتاب، وقيل هي السبع الطوال وقيل المثاني القرآن كله بدلالة آية الزمر[٦] ثم يذكر ما يسوغ كل قول مما ذكر.

٢- جاء في التبيان: هي السبع الطوال سبع سور من أول القرآن وقيل هي ما بعد المئين وقبل المفصل وفي رواية انها فاتحة الكتاب وقيل القرآن كله لأنه تثنى فيه الاحكام[٧].

٣- جاء في الكشاف: ان المثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة ما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها. وقيل هي السبع الطوال ومن للتبعيض اذا اريد بالمثاني الفاتحة أو السبع الطوال، ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثاني وقيل هي الاسباع[٨].

٤- جاء في مفاتيح الغيب: ذكر الفخر الرازي عدداً من الاقوال في دلالة هذه المفردة واشار إلى ان سبعاً من المثاني يعني سبعاً من الاشياء التي تثنى ولا شك ان هذا القدر مجمل لا سبيل إلى تعيينه إلا بدليل وفيه اقوال:

أ. انها فاتحة الكتاب وهو قول اكثر المفسرين ثم يذكر مسوغات هذا القول وهي كثيره يمكن الرجوع اليها في مظانها[٩].

ب. انها السبع الطوال من أول القرآن.

ج. انها السور التي هي دون المئين والطوال وفوق المفصل.

د. انها القرآن كله بدلالة الزمر.

هـ. يراد بالسبع الفاتحة لأنها سبع آيات ويراد بالمثاني القرآن كله والتقدير آتيناك سبع آيات هي الفاتحة وهي من جملة المثاني التي هي القرآن[١٠].

٥- جاء في البحر المحيط: السبع هي السبع الطوال من أول الكتاب ثم يذكر مسوغات هذا القول والمقصود من السبع الطوال[١١] وقيل هي القرآن كله بدلالة آية الزمر، وقيل السبع (ال حم) أو سبع صحائف هي الاسباع، وقيل هي المعاني التي انزلت في القرآن، وقيل هي آيات الحمد في السبع المثاني وأم الكتاب[١٢].

٦- جاء تفسير الميزان: السبع المثاني هي سورة الحمد وقيل انها السبع الطوال وقيل انها الحواميم وقيل انها سبع صحف من الصحف النازلة على الانبياء، ويرجح انها سورة الفاتحة بقوله: هي سورة الحمد على ما فسر في عدد من الروايات المأثورة عن النبي وائمة اهل البيت فلا يصغى إلى ما ذكره بعضهم[١٣].

٧- جاء في تفسير روح المعاني: من المثاني بيان للسبع قيل انها الفاتحة لأنها تكرر قراءتها في الصلاة لأنها نزلت مرتين وقيل انها القرآن كله[١٤].

٨- وجاء في تفسير الامثل: السبع هو العدد سبعة والمثاني هو العدد اثنان وعد اكثر السبع المثاني كناية عن الفاتحة، والروايات تشير إلى هذا المعنى كونها تتألف من سبع آيات وقيل انها اشارة إلى السبع الطوال وقيل هي القرآن كله لأنه نزل مرتين مرة بصورة كاملة ومرة منجما[١٥].

ولا يختلف ما ورد في مصادر التفسير الاخرى عما تقدم ذكره، والملاحظ ان كثيراً مما تقدم ذكره يكاد يكون متشابها إلى درجة كبيره مما يجعلنا نقرر بلا

تردد ان هؤلاء نقل المتأخر منهم عمن سبقه. وبعد عرض ما تقدم من الآراء المتقاربة والمتماثلة نبدأ بتحليل السياق الذي وردت فيه الآية(٨٧) من سورة الحجر ثم نستوحي الدلالات المحتملة لهذه المفردة مستفيدين من الدلالة اللغوية والسياق قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الحجر/٨٥-٨٨. الآية جاءت بعد كلام تام فالواو التي في بدايتها استئنافية لابتداء كلام جديد وحين نحاول تحليل سياق الآية التي وردت فيها هذه اللفظة نجد فيه ما يثير اكثر من تساؤل. سياق الآية يبدأ بالقسم المؤكد الذي اوحت به اللام، الفعل (آتيناك) يتعدى إلى مفعولين وهو مسند إلى المؤتي وهو الله سبحانه وتعالى، العدد سبعاً وهو في موقع المفعول الثاني، وهو عدد يستعمل بهذه الصيغة مع المؤنث بحسب قواعد العدد، حرف الجر (من) وفيه ثلاثة احتمالات:

أ. انه على بابه يدل على ابتداء الغاية في المكان والزمان.

ب. انه خرج إلى معنى هامشي وهو بيان الجنس.

ج. انه خرج إلى معنى هامشي وهو التبعيض.

لفظة مثاني جاءت بصيغة التعريف وعطف عليها القرآن العظيم معرفاً بالالف واللام في ضوء ما تقدم يمكن القول ان لفظة (مثاني) هي جمع تكسير لمؤنث وهو(مثناة) بدلالة العدد (سبعاً) فهو عدد مفرد يستعمل مؤنثا مع المذكر ومذكرا مع المؤنث كما تذكر قواعد النحاة[١٦] تقول (سبع نساء وسبعة رجال وسبع من النساء وسبعة من الرجال) وقد ورد في القرآن قولة تعالى ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾ البقرة/ ٢٦٠. وهذا يعني انها تصلح للدلالة على السور والآيات وفواتح السور

وغير ذلك مما ذكره المفسرون. اما حرف الجر (من) فقد ذكرنا فيه ثلاثة احتمالات وكل واحد منها ينصرف فيه المعنى إلى دلالة مخالفة للأخر. فإذا كان الاحتمال الاول هو ابتداء الغاية يكون الله سبحانه قد آتى الرسول ﷺ السبع المثاني اولا ثم القرآن العظيم معطوفا بالواو والتي تفيد مطلق الجمع عند النحاة وقد تفيد الترتيب في بعض السياقات وهذا منها يعني انهما ليسا شيئاً واحداً. أما إذا كانت (من) لبيان الجنس فالمثاني من جنس الاشياء التي تثنى وتكرر في كل مناسبه[١٧] وأما إذا كانت (من) للتبعيض فالسبع المثاني بعض القرآن والعطف من باب عطف العام على الخاص. وفي ضوء هذا يبرز لدينا احتمالان في دلالة (الواو) في قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ هما:

١- تكون السبع المثاني من القرآن ويكون من باب عطف العام على الخاص ويكون الجامع بينهما ان كليهما موحى به من الله واختلف لفظهما وان كانا من جنس واحد كما عطف ثيبات وابكار وهما من جنس النساء في قوله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ التحريم/ ٥.

٢- تكون السبع المثاني غير القرآن فهما شيئان مختلفان وهذا ما يقتضيه حكم العطف لأنك لا تعطف الشيء على نفسه لان العطف يقتضي المغايرة، ولكل من الاحتمالين من يؤيده ويدافع عنه ويمكن ايضاح ذلك على النحو الآتي.

أولاً: اذا قلنا بالاحتمال الاول. وهو ان لفظة مثاني جزء من القرآن الكريم وان العطف له ما يسوغه كما تقدم تكون هناك اكثر من اطروحة في هذا الأمر.

أ. انها سورة الفاتحة فهي سبع آيات تثنى وتكرر في الصلاة وفي المناسبات وقد

وردت في ذلك روايات مأثورة عن الرسولﷺ واهل البيت والصحابة[١٨].

ب. أنها السبع الطوال من البقرة إلى التوبة وقال به جماعة من الصحابة والمفسرين[١٩].

ت. انها السور التي آياتها اقل من المئين وتقع بين المئين والمفصل[٢٠].

ث. انها الحواميم.

ج. انها فواتح السور (الم، المص، كهيعص، يس، طه، طسم، حم) لأنها تمثل آيات مستقلة وسواها من الفواتح لا يمثل آيات وهناك اقوال غيرها[٢١].

ح. اذا افترضنا صحة الاحتمال الاول واردنا ترجيح احد الاحتمالات التي وردت فيه نرى ان الاقرب إلى الصواب هو ان السبع المثاني هي سورة الفاتحة لأسباب:

١- تواتر اقوال المفسرين واجتماع كلمتهم على ذلك[٢٢].

٢- ما ورد عن الرسولﷺ ام القرآن السبع المثاني التي اعطيتها دون سائر الانبياء[٢٣].

٣- ما ورد عن الامام علي عليه السلام وأهل البيت ان السبع المثاني هي سورة الفاتحة[٢٤]

أما إذا اخذنا الاحتمال الثاني وقلنا ان السبع المثاني ليس من القرآن الكريم وهما شيئان متغايران بحكم العطف آتاهما الله الرسولﷺ فلدينا عدد من الاحتمالات:

١- السبع المثاني هي الاسباع والقرآن مؤلف من اسباع.

٢- القرآن مشتمل على سبعة انواع من العلوم هي (التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر، واحوال العالم، والقصص والتكاليف).

٣- السبع المثاني من المتشابه الذي لا يدرك معناه إلا الله كما اشار إلى ذلك بقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران/ ٧.

٤- ان العدد (سبع) هو الذي يثنى في الاعمال ويكرر فيها وهذا يعني ان السبع هي التي تكرر فهناك اعمال يكرر كل منها سبع مرات في موضعه وفي كل مناسبه فالصلاة تكرر فيها الفاتحة وهي سبع ايات والطواف حول الكعبة سبع مرات يكرر في كل مناسبة والسعي بين الصفا والمروة سبعة اشواط ورمي الجمرات سبعة احجار وهكذا وكل منها يكرر في كل مناسبة وعلى هذا الاحتمال يمكن القول ان الفقرة الرابعة التي يثنى فيها العدد سبعة هي الاقرب إلى الصواب فيما نراه لان هذهِ الاعمال هي (سبع) تثنى وتكرر في كل مناسبة.

في ضوء ما تقدم وما عرضناه من اطروحات يترجح لدينا احتمالان هم الاقرب إلى الصواب هما:

١- في حال كون المثاني جزءاً من القرآن يكون المقصود بها سورة الفاتحة والعطف من باب عطف العام على الخاص وهما من جنس واحد.

٢- في حال كون المثاني غير القرآن وهو ما يقتضيه العطف المقصود بالمثاني ان العدد (سبعة) هو الذي يثنى ويكرر كما في الطواف والسعي ورمي الجمرات وغيرها.

٢ـ سورة الزمر:

وردت لفظة (مثاني) في سورة الزمر في قوله تعال ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

إن موازنة هذا السياق مع ما ورد في سورة الحجر يظهر وجود فرق في الدلالة والاستعمال بين المفردتين لم يشر اليه كثير من المفسرين، كما انهم لم يفصلوا في القول عن هذهِ المفردة في هذا السياق ولم يذكروا لها من الوجوه والاحتمالات ما ذكروه هناك وسوف اوجز القول فيما ذكروه عنها.

١- جاء في مجمع البيان: سمي مثاني لأنه يثنى فيه بعض القصص والاخبار والاحكام والمواعظ وتصريفها في ضروب البيان ويثنى ايضاً في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه(٢٥).

٢- جاء في التبيان: مثاني اي يثنى فيه الحكم والوعد والوعيد بتصريفها في ظروف البيان ويثنى ايضاً في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعة(٢٦).

٣- جاء في الكشاف: انها جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر، وكذا ما ورد فيه من قصص ومواعظ واحكام وقيل انه يثنى في التلاوة واجاز ان يكون منتصباً على التمييز بمعنى متشابهة مثانيه(٢٧).

٤- جاء في التفسير الكبير: من صفات القرآن كونه مثاني.. وبالجملة فأكثر الاشياء المذكورة وقعت زوجين مثل الامر والنهي والعام والخاص والمجمل والمفصل واحوال السماوات والارض والجنة والنار والظلام والضوء واللوح والقلم(٢٨).

٥- جاء في روح المعاني: مثاني صفة اخرى للكتاب أو حال اخرى منه وهو جمع (مثنّى) بضم الميم وفتح النون المشددة على خلاف القياس بمعنى

مردد ومكرر وثني من احكامه ومواعظه وقصصه[٢٩].

٦- جاء في الميزان: وقوله مثاني جمع مثني بمعنى المعطوف لانعطاف بعض آياته على بعض والرجوع اليه بإيضاح بعضها ببعض وتفسير بعضها ببعض[٣٠] ولا يختلف ما ورد في كتب التفسير الاخرى عما تقدم ذكره في بيان دلالة هذهِ المفردة إذا اردنا تحليل قوله تعال ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾ الزمر/٢٣. يرشدنا السياق إلى ان ما انزله الله هو احسن الحديث، واحسن الحديث هو القرآن الكريم ثم جاءت لفظة (كتاب) بصيغة التنكير بدلاً من احسن الحديث وهذا يعني أن احسن الحديث هو الكتاب، أما (متشابه و مثاني) فهما وصفان لهذا الكتاب الذي هو احسن الحديث وكل منهما تؤدي دلالة تختلف عن الاخرى، فهذا الكتاب متشابه وهو مثاني لقد وردت لفظة متشابه في القرآن في اكثر من آية وهي تدل على التشابه المعروف الذي يعني ان بعضه يشبه بعضاً[٣١] ووردت في معنى آخر في سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران/٧. المتشابه هنا يقابل المحكم وبدلالة هذهِ الآية يكون القرآن على قسمين:

الأول: آيات محكمات يدركها الناس ويفهمون ما فيها.

الثاني: آيات متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله، والراسخون في العلم على خلاف في علمهم بها وهي مسالة معروفة تتصل بسياق الآية وموضع الوقف فيها. وبهذا المعنى يكون المتشابه هنا هو ما يتطلب اعمال الفكر والتدبر فيه للوصول إلى المراد منه وهي مسألة ليست يسيرة وقد اشار القرآن اليها في الآية السابعة من آل عمران والسؤال الذي يمكن اثارته هو: هل يمكن ان نفهم من لفظة مثاني في سياق سورة الزمر ان الكتاب

على قسمين محكم ومتشابه وهذا هو معنى لفظة (مثاني)في هذا السياق اي انها تعني ان هذا الكتاب الذي يشبه بعضه بعضاً هو على قسمين (آيات محكمة وآيات متشابهة) وهما يثني احدهما الاخر وهو من دلالات المفردة اللغوية كما تقدم[٣٢] ان هذا مجرد رأي قد يكون الاطمئنان اليه ليس قويا لأننا لا نملك دليلاً على ان المراد من لفظة (مثاني) هنا المحكم والمتشابه لان السياق لا يوجد فيه ما يعين على ذلك ولكن يمكن ان يدخل ذلك في باب الاجتهاد في تدير النص ومحاولة في الوصول إلى اسراره قد يأتي من يثبت صحة ذلك أو خطأه.

ويبدو ان الراجح هو ما تسالم عليه العلماء على اختلاف مذاهبهم من ان لفظة متشابها في هذه الآية تدل على ان القرآن يشبه بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً في اوامره ونواهيه واحكامه، وجاءت بعدها لفظة(مثاني) وصفاً له بعد الوصف الاول وتعني انه قد بني على ثنائيات يكمل بعضها بعضاً فكل شيء فيه قد بني على الثنائيات التقابلية، الخير والشر، الانس والجن، الجنة والنار، المجمل والمفصل، المحكم والمتشابه، السماء والارض، الامر والنهي، الوعد والوعيد، وغيرها. وهنا يمكن القول ان لفظة (مثاني) في سورة الزمر تختلف في دلالتها عما في سورة الحجر لأنها في هذا السياق تعني الكتاب كله فالقرآن هو المثاني ويعزز السياق هذا المذهب فقد اتبعها بوصف اخر هو الجملة الفعلية (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم). والقشعريرة حالة تنتاب الانسان حين يفاجئ بشيء لا يدرك كهنه ولا يعرف سره ولا يفهم مقصده وهذا ما حصل للعرب حين فاجأهم الرسولﷺ بهذه المعجزة فلم يدركوا كنه ما يسمعون وقالوا ما قالوا انه شعر أو سحر أو اساطير الاولين وغير ذلك ولكن بعدما ادركوا كنه ما يسمعون وفهموا ما فيه لانت قلوبهم وجلودهم فامنوا بما انزل الله، ومن هنا يبدو لنا ما ذكرناه هو الاقرب إلى الصواب ولا غيره بتنكير المفردة فهي تعني القرآن كله.

وخلاصة ما يمكن قوله في هذا البحث ان فيه محاولة لقراءة تأويلية لهذهِ المفردة القرآنية التي تعددت فيها اقوال العلماء واختلفوا في دلالتها، وقد اضاف البحث إلى ما ذكره العلماء في هذهِ المفردة اموراً تمثل ما يراه الباحث في دلالتها في الآيتين بعد تحليل السياق والافادة من الدلالة اللغوية في السياق الذي استعملت فيه هذهِ اللفظة في القرآن الكريم وتتمثل بالآتي:

١- اثبت البحث ان دلالة لفظة مثاني في سياق الآية (٨٧) من سورة الحجر تختلف عن دلالتها في سياق الآية (٢٣) من سورة الزمر.

٢- وضع الباحث افتراضاً للسبع المثاني في سورة الحجر يقوم على ان المراد منها اعمال يمارس الانسان كلاً منها سبع مرات وتكرر في كل منا سبعة مثل الطواف والسعي والجمرات وغيرها وهذا يمثل رأياً قابلاً للخطأ والصواب.

٣- وضع افتراضاً للمثاني في سورة الزمر يقوم على ان المراد بها ثنائية المحكم والمتشابه الذي وصف الله بهما القرآن في الآية السابعة من سورة آل عمران.

هوامش البحث

(١) ينظر على سبيل المثال: مجمع البيان ٧١/٦، ٢١١/٨، البيان ٢٥٤/٤، الكشاف ٤٤٩/٢، ١٢٥/٤، مفتاح الغيب ١٦٩/١٩، ٢٣٧/٢٦.

(٢) كتاب العين. مادة (ثني).

(٣) معجم مقاييس اللغة / ج١ / ٣٩١ (ثنى).

(٤) الصحاح (ثني).

(٥) لسان العرب: ١٢٤/١٤ (ثنى) وتهذيب اللغة ٩٧/١٥.

(٦) ينظر مجمع البيان ٧١/٦ فما بعدها.
(٧) ينظر التبيان ٢٥٢/٤ فما بعدها.
(٨) ينظر الكشاف ١٢٥/٢ فما بعدها.
(٩) ينظر مفتاح الغيب ١٦٤/١٩.
(١٠) مفاتح الغيب ١٦٥/١٩.
(١١) ينظر البحر المحيط ٤٥٢/٥.
(١٢) المصدر ٤٥٢/٥ فما بعدها.
(١٣) ينظر الميزان ٢٤٨/١٢ فما بعدها.
(١٤) روح المعاني ٧٢/١٤.
(١٥) ينظر الامثل ٨١/٨ فما بعدها.
(١٦) ينظر شرح ابن عقيل ٣٤٥/٢.
(١٧) ينظر الكشاف ٥٦٥/١.
(١٨) ينظر التبيان ٣٤٧/٤.
(١٩) ينظر الكشاف ٥٦٧/١.
(٢٠) ينظر التفسير الكبير ١٦٢/١٩.
(٢١) ينظر مفاتيح الغيب ١٦٤/١٩، الميزان ٢٤١/١٢، والامثل ٤٩/١٥.
(٢٢) تفسير الطبري ٨٨/١٤، مفاتيح الغيب ١٦٤/١٩، الميزان ٢٤٧/١٢.
(٢٣) تفسير الطبري ٨٨/١٤.
(٢٤) الميزان ٢٠١/١٢.
(٢٥) ينظر مجمع البيان ٢١١/٨.
(٢٦) ينظر التبيان ٢١/٣.
(٢٧) ينظر الكشاف ١٢٥/٤.
(٢٨) ينظر مفاتيح الغيب ٢٣٧/٢٦.
(٢٩) ينظر روح المعاني ٢٣٤/٢٣.
(٣٠) ينظر الميزان.
(٣١) ينظر الآية ٢٥ من سورة البقرة، والآية ٩٩،١٤١ من سورة الانعام.
(٣٢) ينظر كتاب العين(ثني)

موارد البحث

١- الامثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي ط٢ دار احياء التراث العربي بيروت لبنان ٢٠٠٥م.

٢- البحر المحيط - ابو حيان الاندلسي - تعليق الشيخ عادل احمد عبد الموجود دار الكتب العلمية ط٢ - بيروت ٢٠٠٧م.

٣- تاج اللغة وصحاح العربية - الجوهري - تحقيق احمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين ط٤ ١٩٨٧.

٤- التبيان - الشيخ الطوسي - تحقيق احمد حبيب قيصر العاملي دار الاندلس - النجف الاشرف ١٩٦٣.

٥- جامع البيان - الطبري - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر ط٢، ١٩٥٤.

٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين السيد محمود الآلوسي - نشره السيد محمود شكري الالوسي - المطبعة المنيريه - مصر. د - ت.

٧- شرح ابن عقيل - ابن عقيل - تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد - مكتبة الهداية - العراق - د.ت.

٨- كتاب العين - الخليل بن احمد الفراهيدي - تحقيق د. مهدي المخزومي و د. ابراهيم السامرائي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١ -. بيروت ١٩٨٨.

٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري. تحقيق عبد الرزاق مهدي - دار احياء التراث العربي ط٢. بيروت ٢٠٠٨م.

١٠- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر للطباعة والنشر بيروت ١٩٥٥م.

١١- مجمع البيان في تفسير القرآن - الطبرسي - تعليق هاشم الرسولي المحلاتي دار احياء التراث العربي بيروت ٢٠٠٨.

١٢- مفاتيح الغيب - فخر الدين الرازي - دار احياء الكتب العلمية بيروت ط٢، ٢٠٠٤م.

١٣- الميزان في تفسير القرآن - محمد حسين الطباطبائي - مطبعة ثامن الحجج - مؤسسة السيدة معصومة ط١ - قم - د - ت.